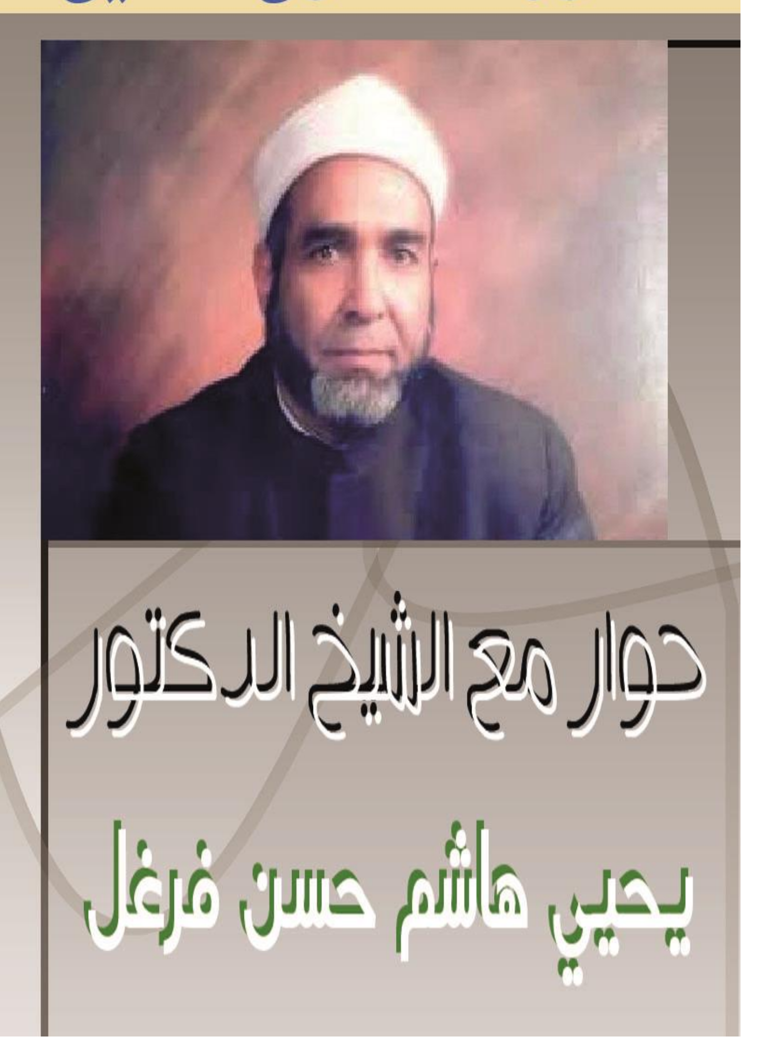

حاوره ممدوح الشيخ
حوار مع الشيخ الدكتور
يحيي هاشم حسن فرغل

حوار مع الشيخ الدكتور

يحيي هاشم حسن فرغل

حاوره:

ممدوح الشيخ

الكتاب: حوار مع الشيخ يحيي هاشم حسن فرغل

المؤلف: ممدوح الشيخ

تقديم.. ..

عرفت اسم الشيخ الدكتور يحيي هاشم حسن فرغل – رحمه الله رحمة واسعة – عن طريق زميل دراسة عزيز هو الأستاذ حمدي عبد الرازق، وهو مثقف دؤوب نصحني بقراءة كتابه الرائع: "**حقيقة العلمانية بين الخرافة والتخريب**". وخلال سنوات تالية ساهمت صلتي بالكاتب المتميز الدكتور وائل عبد الغفار عزيز – رحمه الله رحمة واسعة – في المزيد المعرفة بالرجل، فوالده الشيخ الدكتور عبد الغفار عزيز – رحمه الله رحمة واسعة – وكانت تربطه صلة وطيدة بالشيخ الدكتور يحيي فرغل.

وفي عام 2000 سافرت إلى دولة الإمارات لتسلم جائزة "**الإبداع العربي**" من **دائرة الإعلام والثقافة بالشارقة** عن مسرحيتي: "**عاصمة للبيع**". وأثناء الزيارة كنت أتصل باستمرار

بالدكتور وائل الذي أخبرني بوجود الدكتور فرغل في الإمارات معارًا للتدريس.

وفي إطار مشروع لتقديم برنامج على شاشة قناة الشارقة اتصلت بالدكتور ليكون أحد ضيوف الحلقة، وكان أول تواصل مباشر بيني وبين الدكتور فرغل.

وبعد سنوات علمت بعودة الرجل إلى مصر نهائيًا فاتصلت به لتبدأ علاقة استمرت حتى وفاته، وضمن هذه العلاقة كان هذا الحوار.

....

وفي 23 إبريل 2011، توفي الجمعة الشيخ الدكتور يحيي هاشم فرغل، بعد رحلة طويلة من الكفاح حيث ظل حتى وفاته يجاهد بقلمه ويؤلف الكتب ويكتب المقالات دفاعًا عن الإسلام ولم يخش في الله لومة لائم.

وقد تقلـّد الراحل العديد من المناصب بجامعة الأزهر كان آخرها عمادة كلية أصول الدين. وكان آخر مقال كتبه بعد ثورة الخامس والعشرين من يناير بعنوان: "**ضرورة عقد مؤتمر إسلامي**

عام لتطوير الأزهر" طالب فيه بإنقاذ الأزهر وطرح رؤيته لتطوير هذا الصرح الإسلامي الكبير.

والراحل من مواليد القاهرة 4 فبراير عام 1933، حصل الشهادة العالية من كلية أصول الدين بالأزهر بالقاهرة عام 1958، وإجازة التدريس من الأزهر عام 1959، عمل مدرسًا للتوحيد والتفسير بمعاهد الأزهر من عام 1959 إلى 1964، حصل على الماجستير في العقيدة والفلسفة من كلية أصول الدين بالأزهر بالقاهرة عام 1971، عين مدرسًا مساعدًا بكلية أصول الدين بالأزهر بالقاهرة عام 1971، حصل على الدكتوراه في العقيدة والفلسفة من كلية أصول الدين بالأزهر بالقاهرة عام 1976، وعين مدرسًا بكلية أصول الدين في العام نفسه.

ومن أعماله: "**نقد نظرية المعرفة في علم الكلام**" ضمن رسالة الدكتوراة، "**نقد (العلم الخالص)**" ضمن كتابه "**العقيدة الإسلامية بين الفلسفة والعلم**"، وضع أساس فلسفة التسليم ضمن رسالته للدكتوراه وكتابه "**مداخل إلى العقيدة الإسلامية**"، وضع أساس "**فلسفة الإنذار**" ضمن رسالته للدكتوراه وكتابه "**مداخل إلى العقيدة الإسلامية**"، وضع تخطيط وتطبيق لمواجهة التيارات

الإلحادية ضمن كتابه "**الفكر المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية**"، وضع تخطيط لأساس تكوين كليات الدعوة ضمن بحثه لمؤتمر إعداد الدعاة بالأزهر عام 1987.

وهذا الحوار محاولة لبناء صورة مصغرة لرحلة طويلة حافلة.

ممدوح الشيخ

النشأة

*** أستاذنا الدكتور لدينا عدة محاور فيها ما هو إنساني وما هو منهجي، سنبدأ بما هو إنساني. نتحدث عن النشأة يا دكتور.**

* في الحقيقة النشأة كان لها تأثير عميق بالنسبة لي؛ لأن أنا ولدت لأحد أساتذة الأزهر، وكان رحمه الله أستاذًا في كلية أصول الدين، عندما كانت كلية أصول الدين بمنطقة شبرا شمال القاهرة، وعمل في جو القدماء من مشايخ الأزهر، وإن كان قد توفي وأنا بعد غلام، إذ كنت تقريبًا في الرابعة عشرة، لكن بصماته العميقة التي تركها فيَّ في تربيتي المبكرة هي التي تحركني إلى الآن، وهو الذي على يديه كنت أحفظ القرآن عندما كان يرجع من الكلية كانت مهمته الأولى تربيتي.

وأنا كنت من أحلامه رحمه الله وهو توفي وله أطفال صغار في سن الرضاعة، فكنا بالنسبة له شيئًا حساسًا جدًا، فكان مهتما بي جدا، وكان اهتمامه مزدوجا ما بين التحفيظ وبين التأديب، ولا زلت أذكر المنشة اللوف، اللي كان يعاقبني بها عندما أخطئ أو أكذب، عندما كنت أكذب.

وأذكر أيضًا أنني عندئذ اكتشفت شيئًا اسمه: الكذب؛ لأنه كان يكلفني دائما بالدرس الجديد وحفظ الأجزاء القديمة للمراجعة، فاكتشفت ذات يوم أنه يمكنني أن أدعي إنجاز ما لم أنجزه. وكان بالنسبة لي اكتشافًا. كنت طفلا عمره إحدى عشر سنة، وتساءلت: ولماذا أرهق نفسي؟

وبسبب عمق تأثير أبي فيَّ ما أزلت أشعر حتى الآن بشعوري عند وفاته رغم أن عمري وقتها كان ثلاثة عشر سنة، وكان عمره ثلاثة وستين سنة، وتوفي وفاة فجائية، فكانت هذه الوفاة بالنسبة لي شيئًا خطيرًا جدًا. فالنشأة كما ترى هي في حضن عائلة تهتم بالدين وبحفظ القرآن الكريم، وبأن الوالد نفسه يعتبر "**قطبًا**" في وسط العائلة ويُسأل ويستفتى فكان لهذا تأثير شديد في تكويني.

* نأتي إلى المكان وتأثيره في النشأة؟

*كما أشرت نشأت في حي شبرا بالقاهرة عندما كانت تتصف الهدوء الشديد جدا، وكنا في شارع صغير ضيق لكنه كان قليل السكان، الشارع اسمه بحري الكاراكول، وكان أبي اشترى فيلا ولم نكن نسميها هكذا، كنا نقول "**بيت**"، فيه المبنى في الوسط، وتحيطه حديقة كان أبي

مهتمًا بها جدًا. وكنت وأنا طفل أخرج من البيت لأذهب لزميل لوالدي في شارع الترعة البولاقية، فأذهب سيرًا على الأقدام. وأبي كان له مجلس يوميًا بعد العصر، بعد أن يتم رش الشارع بالمياه، والبلدية هي التي كانت ترشه. وكان أبي يجلس وكان أمامنا جار مسيحي "**قبطي**" كان أكثر مجلسه مع هذا الجار، وكانت العلاقة قوية جدًا بين الطرفين، وكان أبي يمازحه قائلًا: "**أنت خسارة في جهنم يا أبو ذكري**"، والآخر يضحك، والعلاقة طيبة جدًا. وهذا ترك أثرًا فيَّ إذ علمني كيفية التعامل مع القبطي دون أن أتنازل عن ذرة واحدة من إيمانياتي، ودون أن أعمل مشاكل.

ومما يجب ذكره أيضًا من ملامح هذه الفترة في هذا المكان أنه كان هناك آنذاك حركة نشطة جدا للإخوان المسلمين وكان لنا جار حلاق كأنه كان مركز لشباب **الإخوان المسلمين**، وكان هذا الشباب يمشي في الشارع في مناسبات كل أسبوع: **الجوالة**. ومما أذكره أيضًا، أنني سمح لي بأن أذهب في يوم كان عندهم شعبة تجتمع لندوة كل أسبوع، وشجعني أبي وكذلك شجعتني الشعبة، أن ألقي محاضرة، وأنا طفل في الحادية عشرة. ورغم أن أبي كان قليل المدح في الناس إلا من يستحق، ذهب مرة بتدبير من بعض الجيران ليسمع للإمام حسن البنا يوم الثلاثاء في الحلمية الجديدة، ولا زالت أذكر هذا اليوم وأبي عندما رجع كان

معجبًا بحسن البنا، وكان يقول إن هذا الرجل، رجل جيد. ولم يكن سهلًا أن يمتدح أبي شخصًا.

فهذه كلها حفرت في شخصيتي. ولما توفي أبي أيضًا كان هناك أقارب وزملاء في **كلية أصول الدين**، لما تبتعد عينهم عني، فكان له زميل أستاذ في كلية أصول الدين، يسأل عني باستمرار.

*** وماذا عن لحظة اختيار طريق المستقبل؟**

* بعد وفاة أبي رحمه الله انفتحت قراءاتي نسبيًا، وقرأت أدبًا، وقصصًا مترجمة فتطلعت إلى أن ألتحق بكلية **دار العلوم**، لكن زملاء أبي التقطوني وقالوا لي: "**مكانك هنا، مكان أبيك**" أي أنني يجب أن أنظر إلى الكرسي الذي كان يجلس عليه أبي في الكلية، فذهبت إلى **كلية أصول الدين** بتأثير من زملائه، وبتأثير من هذه المسائل التربوية القديمة، ومشيت في موضوع **كلية أصول الدين**.

*** فهل كان هناك نموذج أو قدوة تتبع خطواتها؟.**

* أنا بدأت السير في طريق الدراسة متوجهًا للحصول على الماجستير والدكتوراه، لأكون مكان أبي لكن هناك بعد قدري أفكر فيه الآن. فصحيح أننا جميعًا مسئولون عن تصرفاتنا، لكنني أرى شيئًا غريبًا جدًا في حياتي، وربما تكون في حياة آخرين، وهو أن الجزئيات الصغيرة – في عالم الأسباب – أنا الذي عملتها: ذاكرت .... ذهبت للكلية ... إلى آخره.

*** تقصد الإطار العام الذي تحركت فيه؟**

* نعم الإطار العام.. أنا أستغرب كيف تم.

*** هذا يجعلني أسألك سؤالًا بعيدًا عن السياق لكنه مهم، ما الفرق الدقيق في تقديرك بين: "التسيير" و"التيسير". بين أن يسيرنا الله سبحانه وتعالى وبين أن ييسر لنا في إطار القضاء والقدر؟**

* هذه بالضبط النقطة التي أقصدها .. .. فالإنسان في مستوى القضاء والقدر لا يفلت من قضاء الله وقدره، لكنه لديه دائرة اختيار،

وعندما يتحرك في هذه الدائرة الاختيارية، يتحرك فيها لأن الله هو الذي قيض له أن يكون مختارًا، فأنا مختار ليس لأنني دخلت في معركة مع القدر، ولا لأني دخلت في معركة وأخذت حق الاختيار كما هو الفكر الثوري مثل **الثورة الفرنسية** ولا وكذا.

*** فكرة بروميثيوس في الحضارة الغربية، الذي يسرق النار المقدسة. بينما هي في الأديان تأتي إلى الإنسان دون صراع؟**

* تعني إنه هو الذي ييسرها، لذلك مثلًا، لما نزل آدم إلى الأرض كان هناك فرق بينه وبين الكائنات الأخرى، كان هناك على اليمين الملائكة، وعلى اليسار كان إبليس، بينما الإنسان كان في الوسط. وهو الكائن الذي وضع الله له خط سير "**قضاء وقدر**"، بحيث يكون مسئولًا عن دائرة محدودة من الاختيارات، هو يختار الهدى أو يختار الضلال، وعندما يختار الهدى ييسر له الهدى، وعندما يختار الضلال ييسر له الضلال، أنت صنعت على هذا الأساس.

أما الذين على اليمين "**الملائكة**" فهم بسليقتهم لا يترددون ولا يفكرون فهم مفطورون على الطاعة، والناحية الأخرى أيضا لها قانونها، أما الإنسان فقانونه "**الإبداع**"، ولذا ونحن نفكر في كثير من الأمور،

نفكر في لفظ اسم من أسماء الله – سبحانه وتعالى – وهو أنه البديع، وأنه المبدع، وتسأل لماذا علمني أنا هكذا؟ أفهمها في إطار الإبداع، أفهمها في إطار أنه سبحانه وتعالى كما خلق زهرة صفراء وزهرة حمراء، وخلق الخرتيت، وخلق العصفور، وخلق النملة .... هذا إبداع يدل على عظمة القدرة الإلهية وعظمة العلم الإلهي.

فنحن نتحرك في مجال الاختيار، ونطلب من الله سبحانه وتعالى الهدى: "**وإن علينا للهدى**" فيأتينا الهدى، وتيسر لنا السبيل بحيث نصل إلى قمة هذا الهدى كما كان أبو بكر مثلا، فالله يسر له السير في هذا الطريق؛ لأنه اختار أن يسير في هذا الطريق، وأبو جهل وأبو لهب اختارا الطريق الثاني، فكتب على الثاني إلى الأبد: "**تبت يدا أبي لهب وتب**" فالمسألة أنك تختار والله ييسر لك.

حتى في مسيرتي الشخصية، والوظيفية أنا أحس بهذا، عندما أنظر إلى تاريخ أربعين سنة، أقول كيف سرت في هذا الطريق؟ صحيح عندما دخلت الامتحان الفلاني ذاكرت قبله وأجبت فيه لكن المسار في النهاية يجعلني مندهشًا، ولذلك أقول الحمد لله سبحانه وتعالى.

****

المسار

* فما أهم محطات هذا المسار كما تنظر إليه الآن؟

* ولدت في فبراير ألف وتسعمائة وثلاثة وثلاثين، وسنة ألف وتسعمائة وخمسة وأربعين دخلت الأزهر بعد ما حفظت القرآن، وتوفي والدي سنة ألف وتسعمائة وستة وأربعين، سنة ألف وتسعمائة وأربعة وخمسين أنهيت المرحلة الثانوية وتزوجت في العام نفسه وأنا طالب، يعني ما بين الثانوية وبين الكلية، دخلت كلية أصول الدين وأنا متزوج، وعندي ولد سميته عبد الناصر؛ لأنه ولد في **تأميم قناة السويس**، وهذه كانت قمة التعاطف الشعبي مع عبد الناصر، ولم يكن قبلها ولا بعدها ولله الحمد، ولذلك هو يقول لي الآن: لماذا سميتني عبد الناصر؟.

دخلت كلية أصول الدين، وأخذت، كانت ما كان يسمى: "**العالية**" سنة ألف وتسعمائة وثمانية وخمسين. نجحت في تخصص التدريس سنة ألف وتسعمائة وتسعة وخمسين، وعينت مدرسًا في المعهد الأزهري في أسيوط، ونقلت من أسيوط إلى بنها، ثم إلى معهد الفتيات في القاهرة.

ثم انتدبني سنة ألف وتسعمائة وأربعة وستين الدكتور محمود حب الله، الذي كان في ذلك الوقت أمين عام **مجمع البحوث**

الإسلامية؛ وقبلها كان أستاذي في **كلية أصول الدين**، فانتدبني في مكتبه عضوًا فنيًا.

وهذا الرجل كان من الناس الذين أثروا فيَّ وفي تكويني الشخصي، كان ذا هيبة وكان مزاجيًا. ولن أتكلم عنه أكثر من ذلك. في سنة ألف وتسعمائة وأربعة وستين، عندما ترك الدكتور محمود حب الله **مجمع البحوث الإسلامية**، جاء مكانة الدكتور عبد الحليم محمود، فأيضًا كانت علاقتي طيبة جدًا به، وفي سنة ألف وتعسمائة وتسعة وستين صمم أن أستمر معه، كنت في ذلك الوقت مرشحًا لأن أذهب إلى إندونيسيا، وبقيت معه، ثم دخلت معه **مجمع البحوث الإسلامية**، وكنت مديرًا للسكرتارية الفنية بالمجمع.

كان عملي مع الدكتور عبد الحليم محمود، عمل هواية وحب، وهو حب ممتد إلى الآن، يعني أنني إذا تكلمت عن والدي وتأثيره القوي جدًا في تكويني، فكذلك الدكتور عبد الحليم محمود كان له تأثير قوي فيَّ. حصلت على الماجستير سنة ألف وتسعمائة وواحد وسبعين، وتعطلت لفترة لأنني انشغلت بأن أكون مدرسًا، ورب أسرة، وكذلك تطوير الأزهر والانتقال من نظام إلى نظام كان له تأثير. دخلنا في نظام

الـدكتوراه فتـأخرت فأخـذت الماجسـتير سـنة ألـف وتسـعمائة وواحـد وسبعين، اشتغلت في رسالة الماجستير، وكان عنوانها:

"نشأة الآراء والمذاهب والفرق الكلامية في الإسلام"

وطبعها **مجمع البحوث الإسلامية** في جزئين.

تأخرت أيضًا في الدكتوراه، بسبب نكسة ألف وتسعمائة وسبعة وسـتين وهـي جعلتنـا في ذهـول، فأخـذت مـني الـدكتوراه خمـس سـنين أخـرى، وحصـلت عليهـا سـنة ألـف وتسـعمائة وسـتة وسـبعين، وفي هـذه الأثناء كنت عينت معيدًا في **كلية أصول الدين**، ووصلت إلى مـدرس. وهنا الدكتور عبد الحليم محمود كان انتدبني مع هذا المنصب الأساسي، أن أنا أكـون عضـوًا في مكتبـه، ثم بعـد ذلـك مـديرًا عامًـا لمكتـب الـدكتور عبد الحليم، وعندما توفي الدكتور عبد الحليم محمود انسحبت من الجـو، وإن كان الدكتور عبد الرحمن بيصار في ذلك الوقت كان شيخًا للأزهـر، وكنت أحبه لكنني كنت أريد أن أفلت من هذا الإطار الإداري، وسافرت للخارج سنة ألف وتسعمائة وتسعة وسبعين، ذهبت إلى الإمارات. بقيت خمس سنوات ثم عدت لفترة، ثم سافرت إلى سنة ألفين واثنين.

*** وتوليت عمادة كلية أصول الدين؟.**

* نعم .. أذكر أنه مع انتدابي في مكتب الدكتور عبد الحليم محمود، حصل تغيير؛ لأنه كان شيخ الأزهر قد قدم استقالته وكان غير راضٍ عن الوضع، فلما نفذ أنور السادات التغيير الذي كان يطلبه الدكتور عبد الحليم محمود رجع شيخًا للأزهر بنوع أيضًا من الاستقلالية الإدارية ولم يعد كما كان وأصبح مكتبه أفخم، وقال: اذهب إلى **كلية أصول الدين**، فذهبت مدرسًا إلى أن صرت عميدًا للكلية في الفترة التي كنت أسافر فيها للإمارات وأعود. وفي النهاية قدمت استقالة من الأزهر.

وفي هذه الأثناء استفزتني إلى حد ما بعض المقالات اللي كانت تكتب حول موضوع الأحوال الشخصية، والخلع، والزواج العرفي، إلى آخره، فأرسلت بعض المقالات إلى جريدة **الشعب**، التي كانت تصدر رسميًا، والأستاذ مجدي أحمد حسين متعه الله بالصحة كان يلتقط أي مقالة أرسلها وينشرها كاملة. وإلى الآن أكتب لهم ما يتيسر فيما يدور حول الأحداث السياسية، والتشريعية إلى آخره في الإصدار الإليكتروني للجريدة.

*** في خطابك محطة أريد التوقف معها من منظور فكري، فأنت ركزت في البداية على تربية النشء، وأود أن أعرف رأي حضرتكم الآن في تربية النشء؟**

* أوافق على استمرار طريقة أبي في التربية بشرط أن تكون بالمنهج نفسه، فالعقاب لم يكن عشوائيًا، ولكن في أشياء هامة جدًا، وخطيرة جدًا كالكذب. ثانيًا، هو برغم ثقافته الفلسفية العميقة؛ لأنه كان متخصصًا في علم الكلام، كان يشجعني على قراءة الأدب، فهو الذي علمني كيف أقرأ المنفلوطي مثلًا. ومن قراءاتي المهمة أيضًا عباس العقاد ومقارنة به كنت أجد طه حسين بالنسبة مثل كلام الصحف فقط لا أكثر ولا أقل.

وكنت أناقشه وكنت أجلس معه ومع ضيوفه من الأساتذة. وكان من بين ميوله أن يتركني أمشي مع **الإخوان المسلمين**. اليوم نحن لا نربي أولادنا بسبب غياب القدوة والقيم. وبالنسبة لموضوع الإخوان، بعد أن توفي والدتي انزعجت جدًا من أن استمر؛ لأنه كان هناك خطر آنذاك، وعندما كنت أقول لها إنني ذاهب إلى **الإخوان المسلمين** كانت تبكي كأنه يوم وفاة أبي فانقطعت عن الإخوان، لكن الأفكار موجودة.

*** فماذا عن رأيك في المشهد خلال هذه الفترة بين الإخوان وضباط يوليو؟**

*كنت منفصلًا عاطفيًا عن الثورة بعد سنة تقريبًا، وفي أول سنة أذكر أنني كان عندي ألبوم فيه بعض الصور، فكان فيه صفحة في أول سنة وضعت فيها صورة لحسن البنا، وصورة لمحمد نجيب، وكتبت تحتها "**الفكرة والسيف**"، لكن، ربما كان مُحَمَّد نجيب أقرب إليَّ من جمال عبد الناصر، بعد الصدام الذي حدث بينهما، أنا انفصلت عاطفيًا عن الثورة، ليس فقط انفصلت، بل وقفت منهم موقف الكراهية العميقة، لما كان يجري للناس الذين يقبض عليهم، سواء كانوا من **الإخوان المسلمين** أم من غيرهم.

يعني الديكتاتورية العنيفة التي بدأت من سنة ثلاثة وخمسين أو أربعة وخمسين، والمعتقلات والناس الذين كنا نسمع عن موتهم وإلقائهم في الصحراء، هذا جعلني لا أتقبل جمال عبد الناصر إلا في فترة التأميم شهرين، كنت منتشيًا جدًا من تأميم قناة السويس، وبعد ذلك ظهرت الأمور على ما هي عليه، إلا أن حصلت سبعة وستين.

<u>* اسمح لي أن أعود إلى قضية الشخصيات المؤثرة في حياتك وماذا تعلمت منهم؟</u>

* بالنسبة للدكتور محمود حب الله كان يعني الاحترام، والتشجيع لكن بتؤدة، وتعلمت منه التؤدة والجدية المطلقة، واحترام النفس، وكان إذا وجد في مركز لا يرضيه يغادره فورًا. من الناحية الفكرية هو كان مختصًا في تدريس علم النفس الاجتماعي، ولا زالت أذكر له المحبة الذكية والاحترام العميق.

بالنسبة للدكتور عبد الحليم محمود، هو تلقفني مبكرًا، كان آنذاك قادمًا من فرنسا، وكان يبدو عليه شيء من "**الدروشة**"، يعني غير مهندم. وحدث أنه اختارني أنا وواحد أو اثنين من الطلبة لإلقاء محاضرات وهو يستمع. وعندما دخلت عليه الامتحان في آخر السنة، لم يسألني وأعطاني عشرين من عشرين في المادة.

وهناك نقطة مهمة هي أنه لما كان يحاول أن يجذبني جذبًا شديدًا أو حتى خفيفًا إلى خطوة كان يتصرف كصوفي ليس فقط صوفية القراءة، بل صوفية الممارسة، وهو كان من المدرسة الشاذلية.

*** بمناسبة تصوف الدكتور عبد الحليم محمود هناك واقعة شهيرة في معركة ألف وتسعمائة وثلاثة وسبعين نسب إليه أنه قال إنه رأى الملائكة تحارب؟**

* أنا كنت أقرب إليه، هذه الرؤية كانت رؤية الشيخ صالح الجعفري، وهو حكاها للدكتور عبد الحليم، والشيخ عبد الحليم قال إن الشيخ صالح رأى، فنسبت إليه، وهي حتى الآن تتداول منسوبة للدكتور عبد الحليم محمود لأن من أشاعوها أرادوها مادة للهجوم على الرجل.

***في مراحل الاختيار المهمة، كموضوع الماجستير، وموضوع الدكتوراه، من من الأساتذة أثر أو ساهم في القرار؟**

* هناك أساتذة أسسوا، لكن الجوهريات أزعم أنني أنا وصلت إليها، ووصلت إليها بمحض الصدفة، وبتعبير أدق بـ "**تيسير إلهي**"، وأخطر فكرة أنا كتبتها ولا زالت معتزًا بها إلى الآن، فعندما أفتح مرجعًا كبيرًا من مراجع علم الكلام، اسمه: "**المواقف**"، "**المواقف**" لعضد الدين الإيجي وهو من ثمانية أجزاء ضخمة وعليها حواشي، أو أفتح مثلًا كتاب: "**المقاصد**" للنسفي، وجدت فكرة أعض عليها بالنواجذ، هي

أن هنـاك شـيء اسمـه "**العقـل العملـي**"، وأجـد تعريـف العقـل العملـي في الصفحة التي فتحتها.

هنا أيضا كان الشيء نفسه يتكرر وأنا في الكلية، كان الدكتور عبد الحليم محمود يجعلني ألقى محاضرات، وهناك أيضًا الشيخ صالح شرف وكان صديقا لوالدي وكان أستاذي وكنت أحبه، وكان يعاملني كأب، وكذلك الشيخ مُحَمَّد يوسف موسى، هؤلاء هم الذين ربوا عقلي لكن ليس بالطريقة التقليدية المحض، احترام شديد جدًا للأشاعرة، احترام شديد جدًا للحاشية، احترام شديد جدًا للمتن، ينقدون نقدًا عميقًا، لكن باحترام.

* **هذا يقودنا إلى نقطة مهمة هي فكرة التقاليد في العلم، أن العلم ليس مجرد نقل من كتاب إلى كتاب، وداخل المجتمع العلمي هناك تقاليد تنقل من جيل إلى جيل، حتى لو لم تكن مكتوبة، وهذه التقاليد شرط من شروط النجاح في إنتاج العلم. أنت الآن كأستاذ كيف ترى هذه التقاليد في الجامعة المصرية، هل هي موجودة بالشكل نفسه؟.**

* **"ولا تقاليد ولا غيره"!**

وهذه التقاليد هي الأساس الذي يتم البناء عليه، مثلًا الشيخ صالح شرف كان صديق والدي الصدوق، وبعد ما توفي والدي كان يسأل عنا كل أسبوع، فهذا الرجل لما قدمت رسالة الدكتوراه، علم أنها تهدم كل المحاور الأساسية لعلم الكلام، وهي طبعت في كتاب بعنوان: "**الأسس المنهجية في بناء العقيدة الإسلامية**"، وأنا فضلت هذا العنوان على العنوان الرسمي وكان: "**علم الكلام في القرآن الكريم**". هذه الرسالة هدمت كل المحاور الأساسية في علم الكلام التي كان يدرسها لنا الشيخ صالح شرف، فماذا يتوقع منه، هو الذي عاش حياته كلها يردد كلام هؤلاء الناس وأنا أقول إنه انتهى منهجيًا، وهنا الحقائق لا تُمَس بل المنهج، فأنا هدمت المنهج.

*** يعني بمعنى أن حضرتك احتفظت باحترام للمقدمات وتحفظت على ما يستنتج منها من نتائج؟.**

* أنا أتكلم عن القرآن والسنة والحقائق، التي واجهها علم الكلام، وأهم ما فيه الحقيقة، أي الناحية الدفاعية وليس الناحية البنائية، هو من الناحية البنائية أنا أعتبره لم يكن موفقًا، إنما من الناحية الدفاعية كان يواجه، وكان موفقًا إلى أبعد حد.

*** تعني أنه ساعد في الجدل مع الديانات الأخرى؟.**

* بالضبط، وكان لابد رغم كل هذا أن يكون موجودًا، المهم أن الشيخ صالح شرف كان عضو لجنة المناقشة، ولم يشعر بأدنى حساسية من أن أنني أقول إن هذا غلط، وهذا غلط، وهذا غلط، فأين هذا الكلام الآن؟ أخبرني اليوم عن واحد يعطي درجة الدكتوراه ويحس أن تلميذه يهدم منهجه من أوله لآخره؟

*** فما الذي أصاب المناخ الأكاديمي الآن؟**

* من ناحية الأساتذة كان عندهم اعتداد بأنفسهم وعلمهم واحترام للنفس، ولم يكن عندهم عقدة نقص في أن يتنقدهم أحد. وموضوع الكم والكيف ساهما في التدهور أيضًا. وهناك من يشير إلى دور الأمن، وبالنسبة لي في عمل كعميد لكلية أصول الدين، لم يكن الأمن قد توغل إلى هذا الحد، كان يتدخل قليلًا، اليوم لا يمكن تعيين أحد إلا بموافقة الأمن، فهذا فساد شديد جدًا؛ والمعايير انقلبت وانتكست انتكاسة شديدة جدًا.

*** سؤال أخير في الجزء الشخصي الإنساني.**

يصعب على إنسان أنه يصف شخصه، لكن نتمنى على الدكتور يحيى فرغل مشكورًا أن يقول لنا كيف يرى نفسه، كيف ترى مزاجك الشخصي؟ اجتماعي، انعزالي، ودود، تحب الانفراد، تحب توازن بين كل هذه الاعتبارات.

* أولا من الناحية الاجتماعية رغم وفاة والدي المبكرة لم أنعزل، كانت عندي حياة اجتماعية غنية بأقصى ما يمكن من الاحترام والدفء، ولأنه كان لي أقارب أيضًا شيوخ في الأزهر، وكانوا يحبون الوالد محبة كبيرة جدًا، كانوا ينظرون إلينا نحن الأطفال الصغار نظرة خاصة، فتلقفوني. وكان هناك أيضًا أقطاب في العائلة، من ناحية الثقافة الدينية، تلقفوني، ولم أكن منعزلًا.

وبسبب التلقف كنت أعامل كأن أبي لم يمت، وكنت أعامل في الثامنة عشرة كرجل وهكذا تزوجت في الحادية والعشرين، فكنت عمومًا أعامل باحترام شديد جدًا. وانسجمت مع هذه البيئة التي تحترمني. وكنت أجد التشجيع وآخذ حظي في الجانب الاجتماعي.

*** أتـذكر أن الشـيخ مُحَمَّد الغـزالي – رحمـة الله عليـه –كـان يصـف نفسـه بأنـه مـرح، وقـال إنـه لـو ولـد في أسـرة مـن أصـحاب الـدم الأزرق، مثـل ملـوك بريطانيـا كـان تنـازل عـن اللقب ونزل عاش مع العامة. فأين أنت من هذه الأشياء، منفعل.. هادئ ..مرح .....؟**

* الانفعـال بسـرعة لم ألاحظـه بالنسبة لي، إلا بعـد أن كـبرت في السن، وزوجتي تقـول لي إنني صرت على غير طبيعتي أنفعل. وقبـل هذه المرحلـة كنـت أحـب المـرح. وفي مرحلـة ذهبـت إلى السـينما وكنـت أتـردد عليهـا، وكنـت أتابـع أعمـال فنـانين مثـل: يوسـف وهـبي، وزكـي رسـتم وآخـرين. وكنـت أذهـب إلى السـيدة زينـب وكـان في ذلـك الوقـت بعـض الجرائـد كـان بهـا صـفحة بأكملهـا للنقـد الفـني وأذكـر أنهـا كانـت غالبًـا الصفحة الأخيرة. وكان هناك شخص اسمه: "**العنتبلي**" كان يكتب نقدًا فنيًا عميقًا جدًا لمسرحية أو فيلم، وكنت أقرأ ما يكتب.

وفي فـترة مـن الفـترات كنـت أسمـع كثـيرًا وكنـت أفضـل مُحَمَّد عبـد الوهاب جدًا عن أم كلثوم، وبعده فريد الأطرش، وفي الآخر عبد الحليم حافظ، وأخيرًا انتبهت إلى أن أم كلثوم شي آخر، وأن عبد الوهاب يمزج ما بين الشرقي والغربي. فأنا إلى الآن استمع بشرط عدم الاستغراق.

*** فهل شرط عدم الاستغراق شرعي أم شخصي؟**

* عدم الاستغراق شرط شرعي.

*** لكن الفنان نفسه بحكم عمله يستغرق؟.**

* هو مُبتلى والله أعلم به، إنما أنا أتكلم كمستمع، وأعرف أنه كفنان لو التزم كما يجب لن يكون في قمته، لكن السؤال هو: في إطار التوازن بين البناء الاجتماعي والفن، الأفضل فنان نصف متألق في مجتمع فاضل أم فنان متألق في مجتمع متفسخ؟

وكما أقول لك، أنا أسير والمعونة الإلهية تعينني على التوصل لأشياء وبخاصة بعد الماجستير، ففي المرحلة الثانية، مرحلة الدكتوراه، ظهرت لي أشياء غريبة جدًا مثلًا أحببت أن أتوسع، مستعرضًا مسيرة الفكر الإسلامي وهو كان له مردود على السياسة وعلى المجتمع وهناك في مسائل الفكر الإسلامي علامتان خطيرتان جدًا.

الأولى أنه من باب الإعجاب بالفكر، والتعمق في الفكر، دخلنا في الفلسفة، وبالتحديد دخلنا في الفلسفة اليونانية، فجاءت لنا

لوثة، أنا أسميها "**لوثة**" لا يوافقني أحد على هذا الكلام. أنا أسميها "**لوثة العقل**"، وهي نُقِلت إلينا من علم الكلام. لأنه في تطوره دخله – رغم أنه ظل متماسكا وظل ينتقد الفلسفة نقدا عميقًا جدًا – اختلاط منهجي، فلما انتقلت من هناك فلسفة سقراط أولًا، ثم أفلاطون، ثم أرسطو، إلى الفارابي ثم ابن سينا، ثم ابن رشد، بـ "**العقل**".

العقل؟

ما هذا العقل؟

لم يدرك الناس مبكرًا أن الفكر الإسلامي مبني منذ اللحظة الأولى على شيء مختلف اسمه: "**العقل العملي**".

* تعني الاختلاف بين العقل كوسيلة لإدراك الحقيقة والعقل كمصدر للحقيقة؟

* نعم .. .. ولوثة العقل حدثت مرتين، مرة في اعتماد ما يسمى: "**العقل**"، إدخاله في البناء المنهجي للاستدلال على وجود الله، وكان شيئا نفخر به مثلًا، هذه المسألة أدت لنتائج خطيرة جدًا، ليس في علم الكلام فقط، لكن في التكوين التربوي للأمة الإسلامية.

والبداية من تعريف العقل، وهناك تعريفان للعقل اكتشفتهما. نظرت فوجدتهم أمامي، التعريف الذي أخذه الفلاسفة الإسلاميين، ووجدت تعريفًا آخر بالصدفة في بعض كتب المعتزلة وبعض كتب الأشاعرة، تعريف لـ "**العقل العملي**"، فالعلامة الأولى دخول هذا العقل النظري وإهمال العقل العملي.

العلامة الثانية لما حصلت النهضة الأوروبية الحديثة، وكانت مبنية على المنهج التجريبي، أي على العلم العملي، وهذا العلم التجريبي كان موجودًا عندنا وكان الأطباء في المجتمع الإسلامي يعملون بشكل تجريبي، وكان علمهم عمليًا، وكان متماشيًا مع الإيمان. الانحراف جاء من التطور، فقد نمنا بتأثير العقل النظري وعندما أردنا أن ننهض ونأخذ المنهج التجريبي، كان لابد أن نأخذ المنهج التجريبي الذي يربط بين العلم والعمل، ونجمع بينهما وبين الإيمان، وجاء الانحراف من العلمانية.

والأوروبيون عندما بدأوا في المنهج التجريبي أخذوا العلم العملي وطردوا الإيمان. والنبي ﷺ علمنا ألا نتعامل مع اليقين بالعقل النظري.

هل تعرف كيف العقل النظري؟

العقل النظري جاء من فلسفة تقول إن الله عرف نفسه، وأستطيع أن اختصرها بسرعة، علم نفسه فنتج عن هذا التحويل الخاص

بالفارابي وابن سينا، فلما علم نفسه نشأ تلقائيًا، أي أن الله لم يعمل شيئًا بإرادة، نشأ عنه العقل الأول، والعقل الأول علم نفسه وعلم الله، فنشأ العقل الثاني، وظلت التراتبية إلى أن وصلنا إلى الفلك الذي نعيش فيه، ففيه العقل العاشر، وهذا العقل الفعال، العقل الفعال هذا يتصل بالعقل الخام الأول هذا، فيفيض عليه بالمعلومات، فيأتي شيء اسمه العقل المستفاد، فعقلنا هذا النظري، هو الذي يسمونه العقل المستفاد.

من أين جاء؟ جاء من التعرض لأنوار العقل العاشر، وهكذا.

ومن هنا يأتي اليقين، فهذا كله جاء بنسب من الله، لذلك حتى في بعض الأقاويل أن ابن سينا يفضل الفيلسوف على النبي؛ لأن الفيلسوف صاحب هذا النسب.

فهذا، ليس ما وضعه أمامنا النبي – ﷺ – هذا العقل، تعريفه أنك تتعرض لما يعلوك، فيشع عليك فتأخذ المعرفة.

*** أريد أن أسالك سؤالًا فقهيًا، هو هل يجوز أساسًا أن يفترض أحد غيبًا، أليس يخلق – بهذا المعنى – نوعًا جديد من الغيب لا أصل له، العقل الأول، فالثاني، فالثالث، هذه مسألة تحتاج إيضاحًا؟**

* والله هذا كلام يقال أيضًا، لكن ربما يمكن أن يدخل من ناحية ثانية، هو يحاول توثيق الكلام الذي هو معلومات، هو يعمل دفاعًا عن العقيدة الإسلامية، لكن هذه أسطورة من أولها لآخرها.

****

منهج التكوين

*** من هنا أبدأ الجزء المنهجي يا دكتور لو أذنت، منهج التكوين.**

الدكتور يحيى فرغل، متى بدأ يضع يده كمتعلم على منهج يستخدمه في قياس الأمور على ما يشبه المشروع الفكري الذي يبدأ في العمل فيه.

في أي مرحلة؟

وما ملامحه؟.

* إذا أردت تكويني المنهجي والفكري، أو العقل الأول، كما أقول لك ظهرت البوادر وأنا أعمل الدكتوراه، لأنني اكتشفت شيئًا خطيرًا ومهمًا ورهيبًا في آن واحد، هي أن الجماعة، لذلك كنت أقول لك إن الشيخ صالح لما كنت أتكلم كنت أهدم فكر علم الكلام من أساسه، الفكر الذي يعتمد على ما يسمى: "**العقل العقيم**"، العقل النظري.

هذا العقل النظري وصل الأمر وأنا كان لي زميل، أثر فِيّ أيضًا، وإن كان نموذجً سلبيًا، فهو وصل إلى هذه المرحلة، "**مخه ضرب**"، انتهى، ورُفِض، وأصبح يكلم نفسه (**توضيح من المحاور: فقد قواه العقلية**).

*** من هذا يا دكتور؟**

* اسمه عماد خفاجي، وكان معيدًا ولم يكمل المشوار الأكاديمي. وأنت مثلًا، عندما تقول إن هذا العقل النظري الذي هو متصل بالعقول العشرة، والذي تثق فيه لأنه يعطيك من العقول العشرة، أولًا ابن رشد جاء فقطع هذه الصلة، فكانت خطوة تقدمية لكنها في الوقت نفسه، خطيرة جدًا؛ لأن هذا العقل متصل بالأعلى فبعد قطع هذه الصلة بمن تكون متصلًا؟ وابن رشد أول من قال: "**لا**".. نحن لدينا عقلنا، ووجه نقدًا رهيبًا إلى هذا العقل النظري.

لكن "**العقل العملي**" أستطيع أن أعرفه لك حتى لا تذهب بعيدًا:

"**هو قوة التصرف في الموضوعات واستنباط الصناعات، وتمييز المصالح من المفاسد، لانتظام أمر المعاش والمعاد**".

الغرب محا "**المعاد**" وبقي العقل العملي هو هذا، لكن عبقرية الفكر الإسلامي التي زرعها النبي – عليه الصلاة والسلام – إنك لا تستطيع أن تستبعد فكرة ما بعد الموت، فهذا العقل يتصرف وينظم الأمور حتى تميز المصالح من المفاسد فيما يتعلق بمصالحك في المعاش والمعاد، هذا أنا اكتشفت أنه موجود، أما العقل النظري فمهدوم.؟

وزميلي الذي أشرت إليه هذا لما رأى الهدم فقد قواه العقلية؟ ربما كنا نقدر قبل ذلك أن نقول إن (أبا حامد) الغزالي في كتابه: "**المنقذ من الضلال**" ضرب هذا العقل ضربة لا تقوم له بعدها قائمة في رأيي.

وجاء بعد ذلك من غنى على اللحن نفسه وتحدث عن "**شبهة الحلم**". وهناك سؤالان: السؤال الأول بالنسبة للحلم، والثاني أخطر وهو: من الحكم الذي يقول إن هذا العقل حقائقه سليمة؟ لأنك عندما تفكر بالعقل النظري أنت تبني على بدهيات، ويقال لك إن هذه البدهيات لا تقبل النقاش، فهي موجودة في العقل أي "**مسبقات**"، النظرية تأتي فتبُنىَ على البدهيات، فإذا حتى هذا البناء النظري الضخم يبنى على بدهية، وأشهر أمثلة البدهيات أن الكل أكبر من الجزء، وهكذا.

فكيف عرفت هذه البديهيات؟ مثلًا: "**الواحد نصف الاثنين**"، لا أحد يقدر أن يتكلم في هذه، ومن ينازع فيها أتهمه بالجنون. فمن يقول لي إن هذه القضية صحيحة؟ العقل، نرجع خطوة صغيرة للوراء ثم نرجع مرة ثانية، الحس عندما يخطئ أنا عندي الآن المعرفة من أين آخذها؟ من الحواس، وقد تخطئ، فحتى أميز الخطأ من الصواب فيها،

أصعد إلى الأعلى، لأن الحس أصبح مطعونًا فيه، فليس هو من يقول لي هذا صواب وهذا خطأ فلابد من الصعود إلى أعلى أي إلى العقل.

إذن العقل هو نفسه الذي يضع الفرضية، فإذا أخطأ العقل في وضع هذه البدهية، مين يحكم عليه بالخطأ؟ لا أحد.

*** هذا يسمونه "الدور"؟**

* بالضبط، فدخلنا في الدور، فأصبح توثيق القضية متوقفًا على العقل وتوثيق أوثق العقل أبنيه على التفكير، وحتى أوثق التفكير، لذلك، هناك صفحتان كانتا مكتوبتين في رسالة الدكتوراه، وبسببهما كان يمكن أن يقول لي الشيخ صالح شرف: "**روح روح لأهلك**"؛ لأن الصفحتين يقولان إن علم علم الكلام كله مبني على الدور.

إذن كلنا نعتمد على ما يسمى العقل، لكن أي عقل؟ ولأحكم بسلامة العقل النظري، أحتاج إلى الصعود إلى حاكم أعلى، وهو غير موجود. والغرب لم يتقدم إلا عندما رفض فكرة العقل النظري.

*** أريد أن أنتقل إلى تاريخ تطور فكرك. وفي أي سن بدأت تتبلور هذه الأفكار؟ وما عناصر هذا التصور وبخاصة "العقل العملي"؟**

* في أثناء تحضير الدكتوراه. وفي البداية عندما أفكر في اليقين، لا يقول لي العقل العملي أبدًا ما اليقين، وبالتالي أبدأ في التسليم. وحتى أنصار العقل النظري يصلون إلى نقطة قطيعة ويطالبون بالتسليم، وأنا مع فكرة التسليم لكن من طريق آخر هو "**العقل العملي**"، العقل العملي يقول لي كما قال الإمام الغزالي – رحمه الله – عندما هدم العقل النظري، هو أيضًا كان له فضل عليَّ في توضيح ما يسمى "**العقل العملي**" لكنه لم يضع لي التعريف الذي أقوله لك الآن.

*** هو أهدى لك الفكرة؟**

* أهدى لي الفكرة، بتبسيط عجيب، فهو هدم هذا العقل النظري، في كتابه: "**المنقذ من الضلال**" وحتى الفلسفة الحديثة تشتغل عليه، ديكارت وبرتراند راسل، دخلوا في الإلحاد، وقبل تجاوز هذه النقطة أقول سريعًا إن الغزالي خرج من الورطة بـ "**نور قذفه الله**"، هذا تصوف ... نور أي "**حدس**".

*** لكن هذه تجربة شخصية فردية لا تصلح معيارًا، وأنت من نقاد التصوف؟**

* أنا لست من نقاد التصوف، أنا من نقاد الطرق الصوفية فقط، لكنني لست ضد التصوف. والتصوف طريق.

*** فإذا كان الحدس غير قادر على أن يكون معيارًا جمعيًا، ما الحل؟**

* عندي حلول أخرى. هذه "**مداخل**"، والمسلم مدعو إلى الله ليس بالمدخل الواحد، المدخل الذي يوصلك، المهم أن تصل، وهناك مداخل كثيرة.

*** اسمح لي أسألك سؤالًا:**

هذه براجماتية مبكرة، ولا أظن أن هناك ما يمنع، العمل باعتبار النتائج؟ وحتى تتضح فكرتي أنا أقصد العمل باعتبار تحقيق الأهداف، طالما لم يرتكب محرمًا، وفكرة ألا يُرتكَب

محرم هذه أصلية في الكلام، لكنني ألمح ملمحًا، هو في الحقيقة في رأيي المتواضع "عبقري"، هل هذه دعوة إلى أن يتواضع العقل الإنساني في التعامل مع الكون ومع الله، وأن يدرك أن هذا ينقذه في الآخرة، وبخاصة أن يدرك الإنسان أنه لا ينتج المسلمات ولا يستطيع تجاوزها؟

* السؤال مهم جدًا، ومردود عليه ابتداءً، لما ذكرت لك أن تعريف العقل العملي، يشمل المعاش والمعاد. ويترتب على هذا ألا يأتي في الشريعة ليقول هذا صواب وهذا غلط، ولهذه الفكرة استثمارات واسعة جدًا، لكنني أيضًا سأصل إلى اليقين.

والغزالي عندما شرح لي الموضوع لكنه لم يصل لتعبير "**العقل العملي**" أي أنه في "**المنقذ من الضلال**" يحيل على الحدس. ومن يصل عن طريق الحدس "**أضرب له تعظيم سلام**"؛ لأنني منحاز إلى "**العقل العملي**"، وليس لأنني منحاز إلى الحدس، المهم الوصول.

===========

وأنا مؤمن بأن النبي – عليه الصلاة والسلام – لا يصح أبدا أن يقال إنه جاء نتيجة تطور اجتماعي متخلف، فهو جاء في قمة التطور الاجتماعي، جاء في قمة تطور العقل؛ لأنك كونك تزيح العقل النظري

هذا، بما فيه أرسطو وغيره، وعندما يأتي الغزالي ويقدم لي هذه الرؤية ويضعني أمام الحل، أقول لك إن ما قاله سبقه إليه النبي صلى الله عليه وسلم.

الغزالي قال إنه بالنسبة لدعوة النبي – عليه الصلاة والسلام – بالنسبة للآخرة وما بعد الموت، أشبه بمن يأتيك فيقول لك، هذا الطعام مسموم، ماذا تفعل؟ فكر بالتفكير النظري.

* **الأمر لا يقبل الاختبار، الاختبار معناه الموت؟**

* نعم لا يقبل الاختبار، لكنه يقبل طريقة أخرى.

* **لا يقبل بالعلاقة المباشرة بينك وبين الطعام، ويقبل بطرق أخرى.**

* بالعقل العملي، ونحن أمام هذه الدعوة إزاء 4 نماذج.
النموذج الأول سيقول هذا الطعام حتمًا مسموم، ولا مشكلة، ولا أحد مات وعاد ليقول لنا شيئًا. والملحد ليس عنده شيء بعد الموت، فلا بد

أن يتلقى الإنذار، لذلك هناك شيء اسمه الإنذار، يتلقى الإنذار هذا بوعي، ويبحث عن مصلحته.

فالأول عنده يقين أن هذا الطعام مسموم وليس عنده مشكلة. الثاني الذي يقول هو غالبًا مسموم، إذن اتركه، هناك من يقول إن هناك احتمال محدود أن يكون مسمومًا.

وعندما أضرب مثالًا بالنسبة لما بعد الموت، لا أحد يقول إنه لا توجد نار. تعال إلى النبي النبي – عليه الصلاة والسلام – هو أول ما ابتدا كما جاء في بعض الروايات صعد على جبل الصفا، وقال، وهناك حديثان في هذا الموضوع أحدهما يشبه نفسه فيه بنذي ينذر قومه من جيش قادم فصدقته طائفة فنجوا وكذبته طائفة فصبحهم الجيش فاجتاحهم.

ومن يكذب غالبًا و من يستخدم "**العقل النظري**" لأنه سيقول: "**هات الدليل**"، فمن أين آتيه بالدليل؟ ودافعي للإنذار هو المحبة، لذا فإنني أقول هذا لمن يقولون إن النار، والإنذار بالنار فيه قسوة؛ لأنني قادم بمحبة، النبي يقول لك: انتبه إنك بعد الموت ستدخل جهنم، وتحتاج من ينجيك منها، فأنا أحبك، والقرآن عندما يتكلم عن النار يقول لك: انتبه.

فهذا هو العقل العملي الذي يميز المصالح من المفاسد بالنسبة للمعاش والمعاد. وبناء على هذا الأصل تأتي التربية العملية الصلاة، الصوم، الأخلاق، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهناك منهج أبي بكر وهو نفسه المنهج الذي استعمله النبي – عليه الصلاة والسلام – بالنسبة لأبي بكر. وهو قال عنه النبي عليه الصلاة والسلام: "**لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان الأمة لرجح إيمان أبي بكر**".

هل هناك يقين أكثر من هذا؟

هل هناك أكثر من يقين الرجل الذي كان في المعركة يأكل تمرات، وعندما سأل النبي عن الجنة رمى التمرة ودخل، أين هنا العقل النظري؟ هذا أنا ولم أكتفِ بإنذاره من النار وأخذته في طريق التربية الإسلامية بكل مكوناته.

*__هذا يقودنا للسؤال عما إذا كان الإنسان عنده فطرة تشمل مدركات تتجاوز الغيبيات، مدركات في علاقته بالكون، والموت، والحياة، والشهادة، الأديان تحميها، والمناهج الأخرى تفسدها؟__.

* بداية سأعود إلى مسألة التسليم، فكأن النبي – صلى الله عليه وسلم – يقول لي لابد أن تسلم، وسيأخذني في منهج، والتسليم جاء بعده خطوة اسمها الإنذار، يعني النبي – عليه الصلاة والسلام – قال له القرآن "**قم فأنذر**"، وهذا الإنذار مسألة خطيرة جدًا، وفلسفة قائمة بذاتها.

****

فلسفة الإنذار

<u>* ليتك تشرح لنا ما تسميه "فلسفة الإنذار"؟</u>

* النبي – عليه الصلاة والسلام – قال لقومه "**لو أخبرتكم أن خيلًا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي**" **قالوا: ما جربنا عليك كذبًا**".

يا الله**!!**

عندما يخوفكم مما بعد الموت ترفضون، وعندما يحذركم من جيش العدو تصدقون؟.

المهم، ندخل في فكرة الإنذار، أنا عندي الآن "**العقل العملي**" والتسليم، وإذا اعترض أحد أقول له إن كل المناهج الفكرية تبدأ بالتسليم: العلم، العقل النظري... الكل يبدأ بالتسليم، وأنتم تضحكون علينا. لكن يجب أن يكون هناك ما يعصمني من أكون ألعوبة في يد الإنذارات الكاذبة.

<u>* الدلالة على صحة الإنذار؟.</u>

* مقاييس نقيس بها، وهناك شروط عملية، أي أنني لن أعود إلى العقل النظري وأطلب منه قياسًا من الشكل الأول، ويعطيني نتيجة، والشيخ صالح شرف يقول لك: هذه النتيجة صح أو غلط ... إلى آخره، وكنا ونحن طلبة نشتغل في الاستدلال على وجود الله سبحانه وتعالى سنة بأكملها، السنة الأولى في **كلية أصول الدين**. لن أعمل بهذه الطريقة أنا عندي حقائق الأشياء ثابتة، وعندي العقل العملي. وهو قبل الإنذار، يقول لي إن هناك 4 شروط.

* شرط من حيث الماصدق

* وشرط من حيث طبيعة الإنذار

* وشرط من حيث موئل الإنذار، أو ما يوصل له الإنذار،

* وشرط من ناحية حامل الإنذار.

الشرط المتصل بالإنذار افتراضي، ولن نطلب الدليل. وعن ناحية المصدر، المصدر لابد أن يكون على قدر الإنذار الذي يرسله أو أعلى منه. والإنذار هنا جاء من رب العزة وأول ما أنذرني به ما بعد الموت. وصاحب الإنذار هو المتصف بالكامل، وبالعلم الكامل، وبالحكمة الكاملة، يبقى إذن أن الإنذار جاء لي على يد الرسول – عليه الصلاة والسلام – هذا بالنسبة لطبيعة الإنذار، هو جاء من الأكبر،

لذلك فيه عبقرية، وهو الأكبر بإطلاق؛ لأن ما بعد الموت، هات لي ما بعد الموت، أنت مطمئن؟ هات لي واحدًا من الملحدين مطمئن إلى قضية ما بعد الموت، لا يوجد، وكلهم في إلحادهم، عندما يأتون إليها لا يجدون ما يقولونه. فأنا عندي الإنذار الأكبر من المنذر الأكبر، عندي المتلقي.

نأتي إلى المتلقي، وهو الإنسان، والإسلام عندما كلفك كلفك بما يطاق، كلفك بما يستطاع، ليس فقط كلفك بما يطاق وبما يستطاع، لكن كلفك بما يرقى بك خلقيًا وإنسانيًا، لذا هناك واحد اسمه ابن ربن الطبري وهو مسيحي، له كتاب اسمه: "**الدين والدولة**"، وهو يرد على المسيحيين قائلًا إنه لو كان ما جاء به مُحَّد من عند الشيطان فإنه لا يكون شيطانًا، هل يوجد شيطان يأمر بكذا ويأمر بأن أن ألعنه.

ونأتي إلى المتلقي، فالإنذار أكبر ومصدره هو الأكبر، والمتلقي في مستوى يجعل المطلوب منه مستطاعًا. وحامل الإنذار الذي هو الرسول. وحامل الإنذار يجب أن يكون أول نموذج بالنسبة للاستجابة لمقتضيات هذا الإنذار. لذا، فحامل الإنذار مهم، وكثيرون جدًا دخلوا في الإسلام من نموذج السيرة النبوية. أي نموذج شخصية مُحَّد – عليه الصلاة والسلام – هو النموذج التطبيقي الأمثل لهذا الإنذار. تلك هي

الشروط الأربعة للإنذار، فأنا عندي فلسفة تسليم مبنية على موقف من العقل النظري، أم الموقف العملي؟.

وعندي التسليم وجاءني إنذار يجب أن استجيب له، بشروط عملية دون أن أدخل في الفلسفة على الإطلاق، ويكفيني الصفحات العشرين أو ثلاثين التي كتبتها في "**فلسفة الإنذار**"، حتى تكون دعوتي.

*** هل يفهم من كلام حضرتك أن العلاقة بين هذه الأطراف الأربعة قد لا تحتاج إلى المعجزة؟**

* هذا سؤال مهم جدًا، وفي الفكر الإسلامي وفي علم الكلام أيضًا، ما يؤدي إلى أن المعجزة ليست الأساس في الدخول في الدعوة، بل في القرآن.

وإذا كانت المعجزة والقراءة والتفكير في ملكوت السموات والأرض جميعها واردة، لكنها مكملات ومؤكدات، لكنها ليست سبب الدخول وإذا لم يكن عندك المدخل الصحيح، وعندك إصرار، لن تنفع معك المعجزة أبدًا.

*** وهناك من رأوا المعجزات بأعينهم ولم يؤمنوا؟**

* طبعًا، وقالوا ساحر.

*** الخلط إذن بين الدين والسحر ظاهرة أقدم من الحضارة الغربية، طالما أن القرآن رصدها بهذا الشكل؟ ومع نشوء العلوم الإنسانية الغربية، في عصر ما بعد النهضة، بعد مُحَّمد ﷺ بقرون، هناك تصنيف وضعه العلماء المؤسسون للعلوم الإنسانية في الغرب، وضعوا السحر والدين معًا في سلة واحدة، باعتبار أنهما يمثلان طفولة العقل البشري، هل تعتقد أن هذا مؤشر على أنه الظاهرة أقدم منه؟.**

* هذا ربط مغرض منذ البداية، وهم بدأوا بعقيدة أن الدين "**كلام فارغ**".

*** عندي سؤال أخير في هذا الجزء، هل تصنف نفسك، أنت تعرف طبعًا على مدى التاريخ الإسلامي عندنا تصنيفات**

مذهبيـــة، وتصــنفيات داخــل علــم الكــلام، والفــرق، هــل حضرتك بتصنف نفسك تصنيفات من هذا النوع؟

* سـؤال مهـم جـدًا، تجـد إجابتـه في مقدمـة كتـابي: "**أصــول التصوف الإسلامي**"، وأنا تصنيفي جاهز. أنا مسلم.

* فعلًا....مفاجأة!!!!!

وأنا حتى بالنسبة للعقل العملي، ممكن أفض المشكلة الذي بيني وبين الشيعة. والخلاف بيني وبين الإمامية هو أن الإمام غائب وسيطلع، وهـم يتظرونـه، ويقولـون إنـه معصـوم، ولـن أناقـش موضـوع معصـوم؛ لأن هذا خطأ منهجي، وبالمناسبة أخذوه من المعتزلة. فالشيعة عندما قالوا إن الإمام معصوم، اقتدوا بفكر اعتزالي معين. وأنا أقول لهؤلاء، لا أؤمن بهذا الإمام، ولا داعي لأن نختلف، وإذا خرج سأصفق له.

****

الخلاف الشيعي السني

*** ابتداءً أسأل حضرتك: هل المشكلة بينا وبين الشيعة فقط "غيبة الإمام"؟.**

* هم لن يقبلوا مني.

وهناك مستويان لمعالجة الموضوع. ودعني أقول لك بعيدًا عن الأجندات السياسية، وعن الواقع، وعن الخلافات العقائدية والفلسفية، كما قلت أنت، نجمدها لأننا في غنى عنها، لذلك عندما يقولون إن الشيخ محمود شلتوت قال، يجوز التعبد على **المذهب الجعفري**، كان يتكلم من الناحية الفقهية، وكانت التعليمات تدريس **المذهب الجعفري** كمذهب خامس في الفقه. لكن عندما نأتي إلى علم الكلام الخاص بهم، نجد أشياء أختلف معهم اختلافًا جذريًا فيها، وهذا غير مقصور على قضايا السياسة، بل يشمل الناحية المتعلقة بالصحابة.

*** دعنا نأخذها بالتدريج، يعني أولا في الغيبيات، هل هناك مشكلات أساسية؟**

* ما ظهر في الغيبيات ظهر بالتدريج، وبعد مقتل سيدنا علي، ظهرت في محنة مقتل الحسين، لما توغلوا أكثر بسبب ما نالهم من الاضطهاد. والتاريخ كله تاريخ أهل السنة، فأين ظهروا هم؟ ظهروا في الدولة الصفوية، وظهروا هنا في الدولة الفاطمية.

المهم، أن الاضطهاد كان شديدًا جدًا، وعند الاضطهاد يختبيء الناس، وعندما يختبؤون يخترعون أشياء في الظلام. فأولًا اقتبسوا من المعتزلة فكرة "**وجوب اللطف**" على الله سبحانه وتعالى، ونحن ليس لدينا شيء اسمه الوجوب على الله، حتى لو من باب الأدب.

واستنبطوا من وجوب اللطف على الله أنه يجب أن يرسل رسولًا.

جميل؟

ومن هذا الباب أيضًا – وجوب اللطف على الله وبعد الرسول أوجبوا أن يرسل إمامًا.

*** يعني عقائديًا هل يوجد في تصورهم "كفر"؟**

* أنت تريد إجابة مختصرة، الإمامية ليس لديهم كفر.

*** حتى من يكفرون أحد الصحابة أو بعضهم؟**

* هي كبيرة من الكبائر.

*** فهل يبوء بها أحدهما؟**

* فمن هو؟

*** لا يمكن أن يكون أبو بكر طبعًا.**

* الذي لا يتورع عن رمي أبي بكر بالكفر متمترس في جبهة، وعندما يقول إن أبا بكر اغتصب الخلافة، لا يمانع في أن يكمل الطريق، يقول إن أبا بكر كافر.

*** هل ورود أبي بكر في القرآن على النحو الوارد وصحبته للرسول ألا يترتب عليه حكم شرعي؟**

* هم يتم الاحتجاج عليهم أكثر بأم المؤمنين السيدة عائشة، لماذا؟ لأنهم يطعنون السيدة عائشة في شرفها، فيقال لهم إنه القرآن برأ السيدة عائشة، فلا يجوز الخوض في هذا الموضوع بعد نزول البراءة من السماء.

*** هل هو تكذيب للقرآن؟.**

* لا.... انتظر.... السيدة عائشة حاربت من هو مستحق للخلافة.

*** أخطأت وتابت؟.**

* لكن الأمر بالنسبة لهم مختلف، هم يعتقدون بوقوع مؤامرة.

*** لكن دعني أسألك، سواء تحزب المسلم أو لم يتحزب، هل يجب عليه – إيمانًا منه بالقرآن – أن يكون قوله تعالى: (ثاني اثنين إذا هما في الغار) موجبًا لئلا ينسب لأبي بكر شيئًا يطعن في إيمانه.**

* أنا كمتلقي للقرآن مثلما أنت قلت بالضبط، وجب عليَّ أن أبرئ السيدة عائشة.

<u>* لأ، عفوًا .... أنت رجل لك في الفقه با ع طويل، أنا اسأل بشكل عام: هل يترتب عليه حكم فقهي أم لا؟</u>

* هذه مسألة تحتاج إلى بحث بالفعل. وأنا شخصيًا يجب عليَّ أن أنا أؤمن بأن أبا بكر مشهودٌ له قرآنيًا، لكن من يريد الطعن فيه له مخارج كثيرة.

<u>* وهذا هو السؤال: هل يجوز تأويل موقفه شرعًا؟</u>

* فقط لأنني لا أريد أن أصل إلى التكفير إلا بشيء موجب، وأستطيع أن أقول إنه مرتكب كبيرة دون شك، بل أكبر الكبائر، لكن لا أقول كافر إلا بما هو موجب، وانتبه إلى شيء مهم، نحن الآن لسنا في حاجة إلى الصراع مع الشيعة.

فمع من نصطف إذن؟

مع إسرائيل؟!.

*** أستأذنك في تأجيل الجزء السياسي لأن الفكرة ليست في تأجيل جانب السياسي، بل تحديد المواقف أولًا بدقة ووضوح حتى لو أغضبت البعض. وتاليًا: هل الخلافات تمر أم تؤجل؟**

* لا، تؤجل، ولا تمر، وخلافنا عمره أكثر من ألف عام. وفي الجانب الفقهي الحل ممكن وإن لم يكن يسيرًا. وهناك بالأساس "**نكاح المتعة**".

*** وماذا عن التقية مثلًا؟.**

* نحن أيضًا عندنا تقية.

*** فما تقييمك للعلاقة بين التصوف والتشيع؟**

* علاقة قوية جدًا، لكنها ليست تطابقية.

*** فهل صحيح أن التشيع فيه مكون غنوصي؟**

* ربما كان في التشيع جذور، لكن الجذور أثمرت بعد ذلك لما دخلنا في الإسماعيلية، ودخلنا في الباطنية. لذلك أنا لما كتبت كتاب: "**الفرق الإسلامية**"، أجلت الكلام عن الإسماعيلية؛ وقلت لنفسي إن عنواني: "**الفرق الإسلامية**"، والإسماعيلية كانت لفترة موضع شبهات وانتهت، وخرجت من الفرق الإسلامية، فالبذرة الغنوصية موجودة من البداية.

*** من القضايا المتصلة أيضًا بهذا الموضوع "تبادل التكفير" عمومًا؟.**

* المسألة أوسع من فتاوى التكفير في الخلاف الشيعي السني ومنذ سنوات كان هناك مد تكفيري وهبط، ومن ناحية أخرى الوهابية يتبادلون التكفير مع آخرين وأنا لا أكفر الوهابية، لكنهم يكفروننا. فلماذا؟ هم يتكلمون عن زيارة القبور، وأن مجرد الزيارة ومجرد التوسل بدون تأويل، وأي شخص يمكن أن يتوسل بطريقة أخرى وهم يكفروننا، فمسألة التكفير موجودة.

*** فهل ترى في المقابل تفريطًا يتمثل في مشكلة ترخص عقائدي، في العالم العربي عمومًا؟.**

* هناك تشدد فقهي ينال اهتمامًا وإدانة ورفضًا، لكن هناك تساهل عقائدي، وهو يصل إلى حدود يتقيء أمامها الإنسان، هذا دون شك. وهما وجهان لعملة واحدة. وهناك من يخرج ليقول لك لا تقل إن المسيحية كفر، فالترخص تجاوز العبادات إلى العقائد، وأنا كتبت ذات مرة كتبت، وقلت إنني أكون سعيدًا جدًا عندما يقول لي لما المسيحي إنني كافر.

ما المشكلة؟.

أنا اطمئن لصحة موقفي، عندما يقول لي: أنت كافر، نعم. أنا كافر بما هو مؤمن به، فهو كافر أيضًا، وأصل كلمة كافر ليست هذه مطلقة، ولابد أن تضاف إلى شيء: أنا كافر بالماركسية، أنا كافر بالمسيحية، فا يأتي من يقول لي لا تقولوا إن المسيحيين كفار.

*** البعض يقول: لا تقولوا عن المسيحيين إنهم كفار لأنهم مؤمنون بوجود رب؟.**

* من يقول هذا يموه علي بهذا، وهذا لا يجوز، وهذه كلمتنا، يعني أنني أستخدم مصطلحي أنا، فإذا أراد هو فليصك مصطلحًا آخر، لكن لا يتنزع مني مصطلحي.

<u>* في قضية المصطلح هذه يا أستاذنا الدكتور، القرآن الكريم أسس الفكرة في منتهى الأهمية؛ هي أنه أخذ ألفاظًا وغير معناها العملي وسقط معناها القديم، فمثلًا الصلاة لم تكن بمعنى أداء الشعائر والزكاة أصبح لها معنى غير الزيادة.</u>

* ولا حتى هذه، فهناك معنى عام ومعنى خاص، الصلاة بمعناها العام. والمشكلة أن هؤلاء الناس دخلوا على هذه الساحة دون تسلح بأدواتها. ودائما عندنا يقولون: المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي، فالمعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي معروف بالنسبة لكلمة كفر. المعنى اللغوي: الكفر هو الستر، وهو تصور بقي في اللغة العربية، والمعنى الاصطلاحي: هو إنكار ما علم من الدين بالضرورة، يعني إنكار نبوة مُحَّد، إنكار الآخرة إلى آخره. وهنا يأتي من يقول إن هناك معنى جديد، إذن المقصود التغرير والتمويه.

*** فماذا عن المعارك التي لا تكاد تسكت لتبدأ مرة أخرى بين المبدعين الذين يكتبون نصوصًا أدبية وبين الفقهاء على قضية المعايير العقدية والشرعية للإبداع الأدبي.**

هل الطرفان مشتركان في الخطأ، أم أن الخطأ على المبدعين فقط؟.

* لست ضد الإبداع بشكل مطلق، لكن كل حاجة لها حدود، من يريد أن يسب المقدسات هذا موضوع آخر، وحتى لو كان العمل يخلو من أخلاقيات معينة، أنت يمكن أن تبدع وتكتب رواية دون مشكلة، موجود. لكن المشكلة هي في الخروج عن الحدود وفي الغرب لا يجوز إنكار الهولوكوست. لأن الهولوكوست لا يقبل الإنكار. ومن يريد هدم المقاييس لا يمكنه إلا أن يرفضها.

*** فمن يحدد المقاييس هنا؟**

* سأقول لك، لكن لا حياة لمن تنادي، الكفر إنكار معلوم من الدين بالضرورة، معلوم من الدين، بمعنى أنه لا يحتاج تأويلًا، كنبوة مُحمَّد والقرآن، وبهذا يمكن أن أكفر القذافي لدعوته لحذف كلمة "**قل**" فالمسألة

ليست غيبيات فقط. فهذه كلمة من حرفين لا هي متصلة بالآخرة، ومن حذفها كان كافرًا فالمعلوم من الدين بالضرورة، إنكاره كفر.

*** لكن الحضارة الإسلامة كانت زاخرة بالمبدعين لماذا تزايدت هذه الخلافات الآن؟**

* لأنني كان عندي دولة إسلامية هويتها مستقرة، بينما الآن عندي دولة لا أعرف لها هوية.

*** المسألة إذن قلق، أن تكون مسألة معايير شرعية أصيلة؟.**

* المسألة خطيرة الآن؛ وحتى مثال أبي نواس الذي يضربه كثيرون مختلف، فهو كان يلعب في الخمر، ولم يقل إنها حلال، كان يحببها إلى النفس، وهناك فرق. وبعض ما قاله أبو نواس هو من الكبائر. وابو نواس ختم حياته بأدانة بعض ما كتب في بداية حياته.

*** فهل كان هذا الختام ممكنًا لو تم تكثيره من البداية؟ هل ساهم احتواؤه في توبته؟**

* "**إن شاء الله ما ختم**"، أنا أضحي بأبو نواس.

<u>* لماذا هم لم يضحوا؟</u>

* حضارتهم كانت قوية، لكننا الآن فقدنا كل الخطوط الدفاعية. فالنبي ﷺ بنى أفرادًا وبنى مجتمعًا وبنى دولة، ثم بنى أبناؤه إمبراطورية. فماذا حدث الآن؟ ابتداء من مائتين أو ثلاثمائة سنة سقطت إمبراطوريتنا، اليوم أنا في موقف أخطر مائة مرة من الموقف الذي كان فيه أبو نواس.

<u>* فهل هو إجراء وقائي تحفظي أم حكم فقهي؟</u>

<u>وهناك مدخل جزئي للموضوع، هو: هل هناك أنماط من الكتابة الأدبية يمكن قبولها في عصر ورفضها في عصر آخر، باعتبار القوة والضعف؟. وهل هناك كتابات من محرمة قطعيًا؟ وهل هذا دور ناقد أدبي أم دور فقيه؟.</u>

* هـذا دور فقيـه. لكـن هـل يحكـم الفقيـه عليـه بالكفـر والـردة مباشرة؟ إن الـردة في مـذهب بعض الأئمـة مـن المـذاهب الأربعـة يسـتتاب مـرات وفي الفكـر القـديم هنـاك كفـار أعلنـوا كفـرهم مثـل أبي بكـر الـرازي، فهو يؤمن بالألوهية ولا يؤمن بالرسالة.

*** هذه القناعة بدأت تنتشر بين المثقفين في مصر؟**

* هذا كفر.

كفـر صـريح، كفـر صـريح، المعلـوم مـن الـدين بالضـرورة، هـو الإيمـان بالله، وملائكتـه، وكتبـه ورسـله، واليـوم الآخـر، لا نفـرق بـين أحـد من رسله.

****

قصة مشروع فكري

*** نرجو أن تشرح لنا مشوارك الفكري من خلال، المؤلفات، والدرجات الأكاديمية، وبخاصة كيف تبلورت ألأفكار؟**

* المحطة الأولى المهمة الماجستير، وبعد أن نشرته كتبت الأسس المنهجية وهو الدكتوراه، ثم هناك بعد ذلك أشياء تفرعت عنهما مثل: "**فلسفة الإنذار**"، و"**فلسفة التسليم**" هذه صدرت مبكرًا، ثم بعد ذلك اشتغلت بزحف العلمانية، فكتبت كتابي: "**حقيقة العلمانية بين الخرافة والتخريب**" يجزيه خيرًا شيخ الأزهر أن الذي نشره، والدكتور عبد الودود شلبي تلقفه ونشره بسرعة.

بعد ذلك سافرت الإمارات، وعملي هناك أكثر من عملي هنا، فبلورت ما يسمى: "**تجديد المنهج في العقيدة الإسلامية**". فهذا يعتبر تجميعًا وتركيزًا، لما آراه تجديدًا من ناحية المنهج وليس من ناحية العقائد، محتوى العقائد، فهذا أيضا مهم.

*** فهل أنت ممن يعتنون من الناحية الشكلية بالبلاغة اللغوية بالمعنى التقليدي الكلاسيكي، أم تكتب كما تكون الفكرة؟.**

* أنا متأثر بمصطفى لطفي المنفلوطي ومتأثر أيضًا بأحمد حسن الـزيات وعبـاس العقـاد، فالمسـألة ليسـت مسـألة الزينـة اللفظيـة عنـد المنفلوطي أو الزيات، وقد جاء العقاد فبلور لي أكثر في ألا أنجرف ناحية الزينة اللفظة. وأنا لا أكتب شيئًا ثم أطالعها مرة أخرى بعد يوم، أو بعد ساعة، ويساعدني في هذا جدًا الكمبيوتر الآن.

<u>* وقبل الكمبيوتر هل كان هناك مساعد مثلًا؟</u>

* لا.... كانـت مسـودات وأبيضـها، وأنقيهـا، لكـن لـيس بالشكل المتاح لي أنا الآن، لأن أنا ممكن أرجع للمقال أو البحث عشر مرات، لكن ليس بهدف الزينة اللغوية.

<u>* فهـل كـان لـك تقاليـد معينـة في الكتابـة يا دكتـور قبـل الكمبيوتر: تكتب بالليل أو بالنهار، بقلم معين، على ورق معين ..... تفاصيل؟.</u>

* غايـة مـا في الأمـر أنـي في الـدكتوراه مـثلًا كنـت أعمـل حـتى صلاة الفجر، والآن أكتب عندما تأتيني الفكرة.

*** فمتى تستفز حتى تكتب؟**

* يستفزني شيئان: أن أخدم فكرتي التي ما تزال بلا تلاميذ وأعتقد أن من الممكن بعد مائة سنة أن يأتي واحد ويشير لما كتبت. وموضوع العلمانية يشغلني جدًا.

وانتهى الحوار.............

شكرًا لغباء الأعداء

بقلم: أ. د. يحيى هاشم حسن فرغل

جريدة البيان الإماراتية، 6 مارس 1998

إن معركتنا مع الوجود الاسرائيلي المزروع بين أحشائنا .. معركة بعيدة الغور، لا تقاس بمعركة او اثنتين، ولا بمؤتمر أو عشرات المؤتمرات ... وقد كانت الحروب الصليبية من قبل تمر بمثل هذه الحالات. إن معركتنا مع اسرائيل هي حلقة صغيرة من حلقات معاركنا مع أوروبا .. وها هو شاهد اسرائيلي هو رئيس العصابة الاسرائيلية نتانياهو، ينطقه الله بما يعبر عن ضمير العدو التاريخي القابع في احشاء أوروبا .. فيرجع الحركة الاسلامية –كما جاء في كتابه: "**الارهاب يعود شئنا أم أبينا**" – إلى ما يسميه: الحقد التاريخي الذي يضمره المسلمون ضد الغرب.

يبدأ بالرسالة النبوية المحمدية نفسها، وبما يسميه: توحيد القبائل العربية على يد الرسول، وتشكيل أمة على أساس ديانة صراعية نضالية هدفها فرض قواعد الاسلام على الانسانية كلها. ويقول نتانياهو: "**لو أن شارل مارتل ينتصر على العرب في بواتييه عام 732م كانت أوروبا كلها قارة إسلامية**". ويعبر عن الحروب الصليبية بقوله: "**إن جزءًا**

كبيرًا من تاريخ الإسلام بعد تلك الهزيمة قد مضى في صراع المسلمين ضد استعادة الأوروبيين للأراضي الإسلامية، خاصة الأراضي المقدسة". ويرى أن حملة نابليون على مصر تأتي في السياق نفسه .. ومثلها: حرب الجزائر ضد الاستعمار الفرنسي .. والمقاومة ضد سيطرة البريطانيين على شواطىء الخليج، وسيطرة الفرنسيين على افريقيا الشمالية كلها، وسيطرة الايطاليين على ليبيا، وما يسميه هو: "**دور أوروبا في تفكيك العالم الإسلامي تفكيكًا نهائيًا**".

ويدرك نتانياهو أن العرب ينتظرون صلاح الدين جديدًا يحرر القدس كما حررها صلاح الدين عام 1187 مدركًا أيضًا أن معاهدة السلام التي عقدها مع الصليبيين لم تكن إلا ".. **خدعة استأنف بعدها الحرب** ..."، حتى تم تحرير أرض فلسطين نهائيًا. ويلاحظ نتانياهو ضمن ما يرصده من حركة ما يسميه الإرهاب: "**أن المسلمين يمثلون اليوم انتشارا كبيرا في عدد من الدول الاوروبية، حيث يشكلون (جيتوهات)** – وفقًا لزعمه الساقط من ثقافته – **يبلغ أعضاؤها الآلاف أو عشرات الآلاف، وأن هذا الوجود الإسلامي في أوروبا هو الساحة التي تسمح للإرهاب بالتحرك**" ..، ويشير الى الجماعات الاسلامية في أمريكا على أنها تختبىء وراء استثمارات وأعمال دينية وخيرية ... منتقلًا

الى التحذير من المؤتمرات الاسلامية التي تعقد على الأرض الامريكية، حيث تستفيد من حرية التعبير والعبادة التي يضمنها التشريع الأمريكي .. ويصل إلى التحذير من طموح هذه الحركات الاسلامية، وأنها لا تخشى الولايات المتحدة، لأنها سبق أن انتصرت على الاتحاد السوفييتي نفسه!!

ليست تلك محاولة للوقيعة بين أوروبا والمسلمين كما قد يحلو للبعض أن يفهموا، ولكنه محض التحدث بلسان واحد للصهيونية ولأوروبا معًا. ويقول بن جوريون: "**نحن لا نخشى خطرًا في المنطقة سوى الإسلام**"، ويقول شيمون بيريز: "**لا يمكن تحقيق السلام** (.. يعني الإسرائيلي) **في المنطقة ما دام الإسلام شاهرًا سيفه، ولن نطمئن على مستقبلنا حتى يغمد الاسلام سيفه إلى الأبد**". إنها – حقًا – معركة ممتدة الآفاق ...

إن أطماعهم لا حدود لها: عسكريًا، أو سياسيًا، أو ثقافيًا، أو جغرافيًا .. لقد أقدم أرناط صاحب الكرك في عام 578هـ على تدبير حملة لغزو الحرم النبوي الشريف، وأنشأ سفنًا حملته ورجاله بالفعل الى شاطىء الحجاز حيث "**عظم البلاء، وأعضل الداء، وأشرف أهل المدينة منهم على خطر عظيم، وصار الفرنجة على مسيرة يوم واحد**

من المدينة، ونزلوا على ساحل حوراء قرب ينبع، وكان صلاح الدين إذ ذاك على حوران، فلما بلغه الأمر بعث إلى سيف الدولة بن منقذ نائبه بمصر، وأمره بتجهيز حسام الدين لؤلؤ الحاجب .. على أسطوله، وإرساله خلف العدو، وسرعان ما منيت هذه الحملة بالفشل الذريع، إذ تعقب حسام الدين سفن الفرنجة، فأحرقها، وأسر من فيها، وتعقب الهاربين منهم بين الجبال، وأسرهم جميعًا، وحملهم الى القاهرة، وكان لدخولهم يوم مشهود، وللعقاب الذي نزل بهم عبرة تذكر".

تلك أطماع تمتد الى كل أرض عاش فيها اليهود من قبل .. وحجتهم للاستيلاء على الأرض المحتلة حاليًا ستكون هي حجتهم للاستيلاء على أرض جديدة .. وأطماعهم في ليبيا ومصر لا تقل عن أطماعهم في قبرص وفلسطين .. وأطماعهم في المدينة المنورة لا تقل عن أطماعهم في القدس .. تلك عداوة راسخة عميقة الجذور في الماضي والمستقبل، أخبرنا الله عنها في قوله تعالى: "**لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا**"، وفي قوله تعالى: "**ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم**". ولنعلم أنها عداوة ينضم إليهم فيها كل اتجاه أو جماعة منا تفضل انتصارهم على انتصار الإسلام،

ولنعلم أيضا أنها معركة ينضم إليهم فيها: ركام التخلف والضعف الذي أصاب بلادنا قبل الغزو الإسرائيلي، ويصيبنا معه وبعده.

إن الاستيطان الإسرائيلي .. وإن الاطماع الاسرائيلية .. وإن الغطرسة الإسرائيلية .. لهي وحدها القادرة على استفزاز المنطقة، وإثارتها، وتقليبها، ودفعها للتعرف على ذاتها، والوصول إلى الحل الصحيح لمشاكلها الحضارية الشاملة. إن المنطقة وقد وصلت إلى هذه الدرجة القياسية من التخلف والضعف .. فإنها لا يمكن أن تتخلص منه إلا بتحد قياسي من هذا القبيل .. كما أن المنطقة وقد غاصت أقدامها في وحل التخلف الذي جعلها مسرحًا لهذا التحدي .. فإنها تحتوي على عوامل مكافئة لهذا التحدي، تنتظر الإيقاظ.

إن أنواع الاستجابة لهذا التحدي التي دارت وتدور في تاريخ هذه المنطقة – على اختلافها، وتناقضها، وعدم جدواها غالبًا – لهي نوع من التقلص المعوي الذي يمثل الاستجابة المضطربة لمعدة ألقي فيها سم خطير ... إن السم الإسرائيلي الذي ألقي في المنطقة سم خطير .. لكن معدة المنطقة أقوى منه، كما يثبت ذلك النظر في مقومات المنطقة وتاريخها على السواء.

إننا كما يجب أن نتفاءل، نرحب بهذا التقلص، كما نرحب بالاستجابات الفاشلة، لأنها – أي هذه الاستجابات – تمثل عملية إخلاء لاستقبال الاستجابة الصحيحة في نهاية الأمر. إن الاستجابات التي تمت، وظهر فشلها كليًا أو جزئيًا، تمثل رصيدًا مثمرًا لمستقبل الاستجابة الاسلامية المنتظرة. لقد حصلت الاستجابة الوطنية، وحصلت الاستجابة القومية، وحصلت الاستجابة الاشتراكية، وها هي تحصل اليوم الاستجابة الليبرالية تحت سقف ما يسمى النظام العالمي الجديد ..

والاستجابة التي لم يتم تجربتها بعد هي الاستجابة الاسلامية: "**فاذا جاء وعد الآخرة ليسؤوا وجوهكم، وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة، وليتبروا ما علوا تتبيرًا**". فالنصر على الغزو الإسرائيلي المتغطرس الذي لا تحده اليوم حدود .. سيكون لرجال المسجد، ليدخلوه كما دخله رجال من أمثالهم من قبل.

هل نقول شكرًا لغباء أعداء الله وغطرستهم؟

فهم عوامل الوصول إلى الاستجابة الإسلامية وهي استجابة – إن تأخرت – فمن الحق ومن المصلحة معًا، أن تتأخر. عندئذ تكون المنطقة قد انكشفت أمامها الترهات والشعارات والدعاوى الفارغة.

أستاذ العقيدة بقسم الدراسات الإسلامية جامعة الإمارات*

ممدوح الشيخ

مفكر

نشر له مئات المقالات والدراسات في عشرات الدوريات العربية.

صدر له أكثر من عشرين مؤلفًا في القاهرة وبيروت ومسقط.

نال جوائز مصرية وعربية في الشعر والمسرح والرواية.